3

سلسلة روايات الشباب

الخضراء



اهداءات ٢٠٠٢
مركز العالمية لدراسات و ابحاث الكتاب الاخضر
ليبيا

سلسلة روايات الشباب 3

الخضراء

عبد الأمير عبد الله



المركز العالمي لدراسات وأبحاث الكتاب الأخضر
طرابلس - الجماهيرية

الطبعة الأولى
1988 م.

هاتف: 40705 · 45565 ـ مبرق: 20032 - 20668
ص.ب: 80984 ـ طرابلس ـ الجماهيرية

كان الابن الأصغر يقرأ بصوت عالٍ أبيات من الشعر طلبت إليه مُدَرِّسَةُ اللغة العربية حفظها غيباً. تقول الأبيات :

سقف بيتى حديد ركن بيتى حجــر
فاعصفى يا ريـاح وانتحب يـا مـطرْ
واسبحى يـا غيوم واهـطلى بـالمـطرْ
واقصفى يـا رعود لست أخشى خطرْ
سقف بيتى حديد ركن بيتى حجــرْ

عندما سمع الأب هذه الأبيات من الشعر، ابتسم وقال بصوت خافت: معظم البيوت سقوفها من الحديد. وأركانها من الحجر. لكن الكثيرين ممن كانوا يسكنونها اضطروا لتركها مطرودين ليصبحوا تحت رحمة الحر والبرد والريح والمطر. . .

التفت الابن الأكبر إلى أبيه وسأله بدهشة : من الذى طرد الناس من بيوتهم ، ثم استدرك وقال : لا بدَّ أن يكون هذا من فصيلة الغول أبى الذهب. ضحك الأب وأجاب : بل هو: أبو الذهب نفسه ، الغول نفسه الذى حدثتك عنه سابقاً ، عاد إلى الخضراء لينتقم من أهاليها بأسلوب يختلف عن أسلوبه السابق .

تقول الحكاية : كان مما كان فى سابق الزمان ، كانت الخضراء .

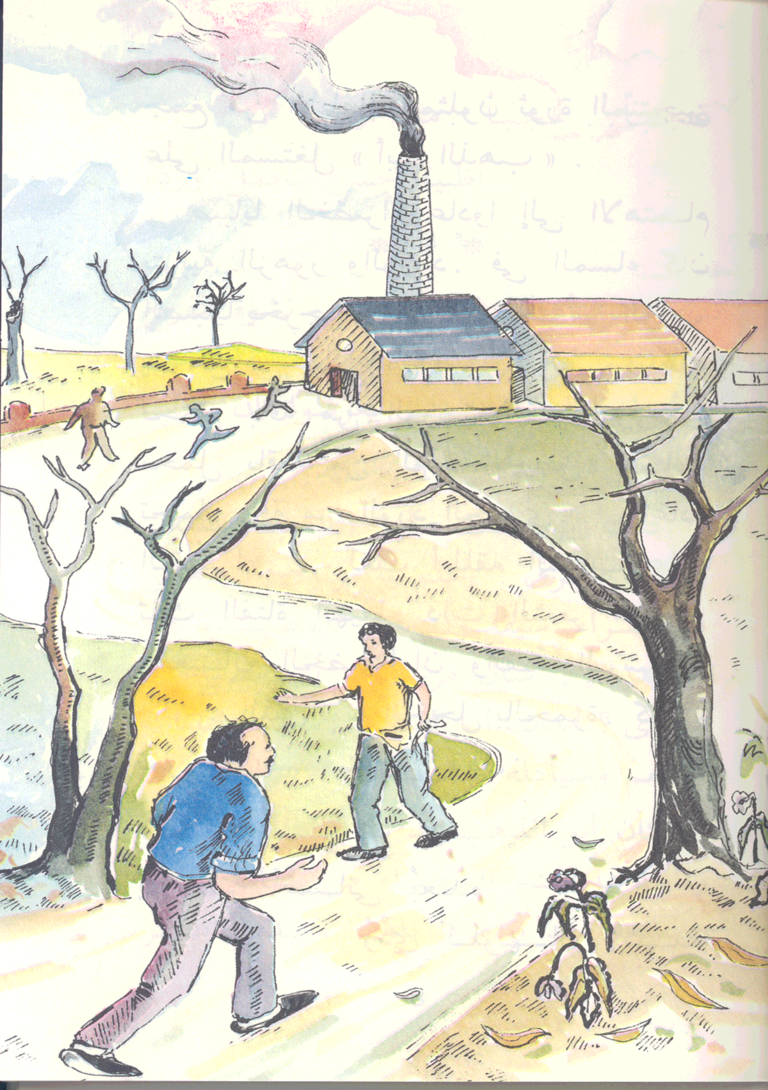
* * *

رويداً . رويداً ، بدأت تعود الحياة إلى الخضراء ، بعدما خرج الغول من مصانعها. عادت الابتسامة إلى الشفاه . والأغنية إلى الحناجر ، والقلوب التى ملأها الأسى زمناً طويلاً عادت إليها البهجة وطفحت بالحب ونبضت بالحياة . عاد الأمل إلى النفوس فجادت بالعطاء والكرم .

فى مصانع الخضراء ، بدأ المنتجون يعملون بفرح وسعادة ، زاد إنتاجهم مما أتاح لهم إشباع حاجاتهم واكتمال حريتهم، وتحول العمل فى المصانع إلى ورشة فرح، فبعدما كان العمَّال يعملون

وكأنهم في مأتم أصبحوا الآن يعملون وكأنهم في عرس، عرس لقاء المنتج بإنتاجه، عرس وفرحة لقاء المطر بالتربة العطشى... والبضائع التى كانت تخرج من المصانع مجبولة بالحزن والشكوى والتذمر صارت تخرج اليوم مبتلة بعطر الفرح والرضا.. خاصة بعدما استبدلت آلات المصنع القديمة بآلات حديثة أقل ضوضاء وأكثر إنتاجية. استطاع العمَّال شراء المصنع الجديد من خلال حساب حصة المصنع فى الإنتاج. المصنع الجديد وفرَّ للعمَّال الراحة النفسية والجسدية.

بدت الخضراء وكأنها مهرجان فرح دائم. كل شىء جديد. ملابس الأطفال أحذيتهم وألعابهم، حتى أساليب اللعب التى كان يؤديها أطفال الخضراء تغيَّرت هى أيضاً... وكم كان مضحكاً مشهد



جمع من الأطفال يمثلون ثورة المنتجين على المستغل « أبى الذهب » .

صبايا الخضراء عادوا إلى الاهتمام بتربية الزهور والورود. فى المساء كان الصبايا يخرجن حاملات باقات من الورد، يتنزهن فى شارع الخضراء الرئيسى، هذه تحمل باقة من الورد الأحمر، وأخرى تحمل باقة من الورد الأبيض، وثالثة تحمل باقة من الورد الجورى. . . [غادة الخضراء. . . لقب أطلقه الشباب على تلك الفتاة الهيفاء ذات الشعر الطويل والعينان الخضراوان والقدّ الرشيق، والوجه الذى لوّنه الخجل بالحمرة. كانت تمر يوماً فسمعت من يقول:

يا قمر أضنانى بُعده
رُدِّى للولهان رشده

عجباً . . عجباً . . ماذا أرى

أظبية حسن تحمل وردَهْ

* * *

عاش أهالى الخضراء فى نشوة الفرح والانتصار على سارق أتعابهم وإنتاجهم « أبى الذهب » ولم يعرفوا أن « أبا الذهب » لم يستسلم .

ذات يوم قال « أبو الذهب » لمدير أعماله مرتزق : إعلم يا مرتزق أن أهالى الخضراء سيقعون فى المصيدة من جديد . . . سأل مرتزق : أى مصيدة يا سيدى ؟ أجاب أبو الذهب : سأبدأ بصناعة الطعم وسيأكله السمك .

كان أبو الذهب قد شرع ببناء المنازل وتأجيرها لأبناء الخضراء من العاملين فى مصانعه منذ مدة طويلة ، وعندما اضطر

لترك المصانع ، استقدم عمالاً من البلدان المجاورة وأغرى بعض ضعاف النفوس من أبناء الخضراء ممن أدمنوا العمل كأجراء وكعبيد عند أبى الذهب، وقام باستيراد آلات حديثة للبناء تفوق بقدرتها تلك الأساليب اليدوية التى يعتمدها أبناء الخضراء . . . تحولت الخضراء إلى غابة من الأسمنت والحجارة والحديد . صحيح أن البيوت القديمة التى تعوّد بناءها أبناء الخضراء أكثر جمالاً ورونقاً من البيوت التى بدأ أبو الذهب ببنائها ، لكن بناء البيوت القديمة كان يستغرق زمناً طويلاً ، بينما بيوت أبى الذهب ، سريعة الإنجاز بفضل الآلات والرافعات التى استعملت فى عملية البناء .

أصبحت مشكلة السكن ملحة فى الخضراء ، زاد عدد السكان فضاقت


مساكن حديثة للإيجار
للمراجعة
مكتب أبو الذهب

المساكن بأصحابها ، حتى أن الجدُّ سكن فى بيت واحد مع أبناء أحفاده ، أصبح البيت ضرورياً وراح الشباب الراغبين بالزواج يستعجلون بناء البيوت . . . ولم يكن باستطاعة العمَّارين والبنائين فى الخضرا تلبية جميع المحتاجين إلى البيوت .

* * *

« مساكن للإيجار » لافتات رفعت فى شوارع الخضراء وأحيائها . مئات من البيوت السكنية تبحث عمن يسكنها ، ومئات من العائلات تبحث عن بيوت تأوى إليها .

«مؤسسة أبو الذهب العقارية» لافتة ثانية رفعت فوق بناء حديث فى ساحة الخضراء ، إنه مكتب أبو الذهب . أبو

الذهب نفسه الذى استعبد الناس فى المصانع يريد استعبادهم هذه المرَّة من خلال حاجتهم إلى البيوت .

بدأ الشباب فى الخضراء يتهافتون على استئجار البيوت . . . كانت فرحة أبى الذهب كبيرة ، فقد التفت يوماً إلى مدير أعماله مرتزق وقال له : السمك يأكل الطعم أرأيت كيف يعلق فى المصيدة .

فى مكتب أبى الذهب عقد اجتماع بين أبى الذهب ومدير أعماله مرتزق ومحامى المؤسسة وبعض الأعوان . خلال الاجتماع قال أبو الذهب : سأعوض ما خسرته فى المصانع من خلال رفع إيجارات البيوت ، سأنتقم من العمَّال ، وإن كنت لم أعد أستطع الانتقام منهم فى أوقات العمل فى المصانع فسأنتقم منهم

فى أوقات الراحة فى بيوتهم ، ثم أشار إلى محامى المؤسسة أمراً : ضع شروطاً فى عقد الإيجار يكون لى الحق من خلالها بإخلاء المنزل من ساكنه متى شئت . . .

تضمنت عقود الإيجار التى حددَّها أبو الذهب حرية المالك أى المؤجر بإلغاء العقد متى شاء . وحقَّه بتجديد العقد سنوياً ورفع الإيجار. باختصار فقد وضع العقد لمصلحة المالك ـ أى أبو الذهب.

قال أحد أبناء الخضراء بصوت جريح وهو يخرج من مكتب أبى الذهب : خرجنا من فم الغول فى المصنع ، وها هو يأكلنا فى حاجتنا إلى البيوت ومن خلال عقود الإيجار. إننا نعيش على كف عفريت، العفريت «أبو الذهب» وكفَّه قانون الإيجارات وأضاف

الرجل: إننى أشعر أن سقف البيت الذى سأسكنه من الورق. وأن ركنه من الرمل.

وذات يوم دخل أحد أبناء الخضراء وإسمه أحمد إلى مكتب أبى الذهب . . . أحمد الذى كان يعمل فى المصنع وقال لمرتزق ذات يوم : هذا المصنع من حقنا . كان مرتزق يجلس خلف مكتبه ، يقلِّب أوراقاً ، نظر إلى أحمد ، عرفه . هو العامل نفسه الذى كان أكثر العمَّال احتجاجاً وثورة ضد الاستغلال ، القامة الطويلة ، العينان السوداوان الواسعتان ، الشعر، الأجعد ، والشامة فوق الخد الأيمن . . .

صباح الخير يا مرتزق الصوت نفسه أيضاً . هو أحمد من دون أدنى شك . قال مرتزق هذا لنفسه وظلَّ متشاغلاً . يعبث

ببعض الأوراق الموضوعة فوق المكتب . لم يرفع رأسه بل قال بلهجة فاترة وآمرة من دون أن ينظر إلى محدثه : تفضلاً واجلس ، ثم عاد ليتظاهر بأنه منشغل بالكتابة . رنّ جرس الهاتف ، وضع مرتزق القلم ، تناول السماعة : آلو نعم . . . . طال حديث مرتزق مع الشخص الآخر ، وكان يتخلل الحديث قصص وضحك وكلام فى أمور لا تخص العمل وكان يتعمدها مرتزق . . . ضاق صدر أحمد من طول الانتظار، وقبل أن يهمّ بالانصراف وضع مرتزق سماعة الهاتف، ونظر إلى أحمد بعدما رسم ابتسامة خبيثة وقال: أهلاً . . أهلاً أحمد . . . أظنك أحمد الذى كان يعمل عندنا فى المصنع ! . [أجاب أحمد: نعم هو نفسه الذى كان منتجاً فى المصنع].

كشَّر مرتزق وبانت أسنانه عن ضحكة صفراء وقال : ما زلت كما أنت يا أحمد تحب المشاغبة، فلو قلنا لك اللبن أبيض لقلت لا بل اللبن أسود . . . ضحك أحمد وأجاب بكل ثقة : يكون اللبن أسوداً فى حالات كثيرة ، إن كان مسروقاً من فم ابن البقرة ، إن لم نكن عادلين بتوزيعه ، وسرقنا حصة العجل من لبن أمه ، فهذا اللبن يكون أسوداً . . . والخبز المسروق من فم طفل جائع يكون أسوداً أيضاً . . .

لم يعر مرتزق ، أى اهتمام لكلام أحمد وسأله جاداً : أين تعمل الآن ؟ أجاب أحمد : ما زلت منتجاً فى المصنع نفسه ، وأتقاضى حصتى من الإنتاج .

* وكيف حال المصنع القديم ؟ سأل مرتزق .

أجاب أحمد : اشترينا آلات جديدة ، تستطيع إنتاج عدد أكبر من السلع بواسطة عدد أقل من المنتجين .

سأل مرتزق بعدما قطّب ما بين حاجبيه . باستغراب : ومن دفع ثمن الآلات الجديدة . دفعها المصنع القديم الذى نال ثلث الإنتاج . . . أجاب أحمد .

هذا الحوار أعاد إلى ذاكرة مرتزق النقاش الأخير فى المصنع وكيف خرج يومها مع سيده أبا الذهب لا يلويان على شىء، فزاد ذلك من حقده وكراهيته لأحمد ، فوقف وبدأ يجمع أوراقه ثم توجه بالسؤال إلى أحمد ، عن معنى هذه الزيارة ، أجاب أحمد أريد استئجار بيت من أبى الذهب ، لأننى أنوى الزواج قريباً .

نظر مرتزق إلى ساعته وقال لأحمد : بإمكانك الحضور غداً مصحوباً بشهادة ميلاك وشهادة تثبت بأن سجلك خالٍ من السوابق ، لأننا لا نؤجر للمشاغبين. . .

أجاب أحمد : هذه شهادة ميلادى ، أنا ابن الخضراء ، وهذا سجلى إنه ناصع البياض ، لم أقتل ، لم أسرق ، لم أكذب ، لم أغتصب مال الغير لم أجمع مالاً حراماً من تعب الآخرين ، لم أستغل أخوتى فى الإنسانية والدين والمجتمع . . . لم . . . أظلم أبناء أمتى ، وعشيرتى . . . لم . . .

فتح الباب ودخل أبو الذهب مسرعاً ، وجه التحية إلى مرتزق ، نظر إلى أحمد ، فتح فمه وكأنه يريد ابتلاعه، نظرة أبى الذهب هذه ذكرت أحمد بأيام العمل فى المصنع . دخل أبو الذهب إلى مكتبه

مسرعاً ونادى بأعلى صوته: مرتزق أدُع الموظفين أريد الاجتماع إليكم على عجل.

ومن دون أن يلتفت إلى أحمد قال مرتزق: انصرف الآن وعد فى الغد. خرج أحمد من مكتب أبى الذهب ، التقاه أحد أصدقائه القدامى فسأله مداعباً ، متى ستكون حفلة الزفاف : أجاب أحمد : سيكون العرس يوم يصبح البيت لساكنه .

* * *

عندما بدأ أبو الذهب ببناء البيوت اشترط على المهندسين وضع خرائط لبيوت لا تدخلها الشمس . تعجب المهندسون من هذا الطلب ، فرفض معظمهم العمل بهذا الشرط والإذعان لرغبة أبى الذهب ، لكن بعض

المهندسين قبلوا بشروط أبى الذهب وكانت البيوت . . . بيوتاً لا تدخلها الشمس وشوارع لا تتسع لمرور أكثر من شخصين . مرتزق نفسه لم يعرف سبب ذلك وعندما سأل سيِّدة عن سرٍّ بناء بيوت لا تدخلها الشمس؟ أجابه أبو الذهب : من الأفضل لنا نحن الإثنان أن لا يرى المستأجرون النور ، الأفضل بالنسبة لى أن لا يروا الشمس . . . تجربة المصنع علمتنى ذلك . سأثأر من جميع الذين عارضونى فى الخضراء . . . سأنتقم منهم جميعاً ، سأنتقم من الأخضر . والشمس هى التى تعطى اللون الأخضر للحياة .

* * *

أحد المستأجرين أراد فتح نافذة تدخل منها الشمس فى البيت الذى يسكنه ، منعه

أبو الذهب وقال له : يوجد شرط فى عقد الإيجار يمنع المستأجر من فتح النوافذ . . . سأل المستأجر : ولماذا فعلت هذا؟ أجاب أبو الذهب : لأننى أكره الشمس . . .

* * *

الأخضر لا يصير أخضراً من دون نور الشمس.

الشمس هى الحرية وهى الحياة ذاتها ومن يعيشون من دونها، فأولئك هم العبيد الذين لا يستطيعون مواجهة النور.

نحن أهالى الخضراء لم نكن عبيد الظلام والظالمين .

لقد كان لنا مجداً . وسيبقى لنا المجد على أرض أكثر صلابة واخضراراً. تتجدد نوراً فى شرايين الأرض . . .

نوراً أخضراً ، كعينى غادة الخضراء .

كتبت هـذه الكلمات على جـدران مكتب أبى الذهب العقارى. عندما قرأ أبو الذهب هـذه العبارات قـال : لقد حددت عقود الإيجار حقوق المستـأجر وحقوق المالك ومن أراد الاحتكام إلى عقد الإيجار الذى وقّعه مختاراً ومن دون إكراه فأنـا مستعد لـذلك ، ومن يحب الشمس والحرية ، فهو حرّ بأن يترك البيت الذى يسكنه ويعيش فى الشمس.

* * *

راق لأبـى الـذهب أن يـفـاجـىء المستـأجرين بين حين وآخـر بضرائب جديدة . فيوماً يرفع الإيجـارات بحجة ارتفاع أسعار مواد البناء ويوماً يـطالب بزيادة أسعار الكهرباء والمياه. وأن احتج

أحدهم على ذلك إجابة أبو الذهب : عد إلى عقد الإيجار ، وأنا مستعد للاحتكام إليه .

ذات يوم خطر لأبى الذهب أن يتلاعب بصنابير المياه فأخذ يفتحها تارة ويقطعها تارة أخرى ، غضبت سيدات الخضراء من سلوك أبى الذهب ومزقن وكسرن اللافتة التى تحمل عبارة «بيوت للإيجار» ورفعن مكانها لافتة أخرى كتبن عليها: «بيوت للاستعباد ، قبور لا تدخلها الشمس » . . . وفى اليوم الثانى كتبت شعارات على جدران البيوت وفى ساحة الخضراء تقول الشعارات :

سرقوا الشمس من الخضراء،
ونحن نعارض بالهمس
منعوا النورَ قطعوا الماءْ،

فاليوم أتعسُ من أمسِ
هيًّا . . . قولوا من دون رياء .
الغول يعبث بالشمسِ

تحمس أطفال الخضراء بغضب أمهاتهم من سلوك أبى الذهب ، فاتفقوا فيما بينهم على أن ينصبوا كميناً لأبى الذهب . . . كمن الأطفال فى زاوية بالقرب من مكتب أبى الذهب العقارى ، وصل أبو الذهب إلى المكتب ، وما أن ترجل من سيارته مرتدياً بذلته البيضاء وحذاءه الأبيض ، حتى كانت المفاجأة المضحكة. فقد بدأ الأطفال بضرب أبى الذهب بثمار الطماطم الناضجة والبيض ، حدث ذلك خلال ثوانٍ معدودات ، ثم توارى الأطفال عن الأنظار .

كان مشهد أبى الذهب مضحكاً بالنسبة

لأهالى الخضراء الذى صادف وجودهم خلال الحادثة . لكن مشهده كان مرعباً بالنسبة لمدير أعماله مرتزق . . .

عندما رأى مرتزق أثار سائل الطماطم على ثياب سيِّده البيضاء اعتقد جازماً أنها آثار دم ، وأن سيِّده تعرض لاعتداء ، فأدار بسرعة قرص الهاتف واتصل برجال الإسعاف طالباً إليهم الحضور على عجل مع سيارة الاسعاف كان يقول بأعلى صوته : أبو الذهب أصيب بجراح خطرة . . .

دخل أبو الذهب إلى المكتب وهو ينهال باللعنات متوعداً المستأجرين الذين حرضوا أطفالهم على ضربه بثمار الطماطم ، عند ذلك عرف مرتزق أن ما حدث ليس سوى احتجاج أطفال ، فقال لسيِّده ، لقد اعتقدت فى البداية أنّ ما



أصابك هو ناتج عن جراح وأن سائل الطماطم هو دمك . . .

وصل رجال الإسعاف . دخل الجميع إلى مكتب أبى الذهب . . . لست جريحاً ، ماذا جرى إذن : بعض الصبية والفتيان ضربونى بثمار الطماطم . قال هذا لأحد رجال الإسعاف ، فما كان من المسعف إلاَّ أن انفجر ضاحكاً وقال لأبى الذهب : مدير أعمالك اتصل بنا وقال أن جراحك خطرة ، وعلى أى حال فإننى أود معرفة أسماء الأطفال المشتركين فى هذه المؤامرة، قالها المسعف وهو يبتسم، وينظر إلى زميله.

قالها بسخرية وشماتة ، فهو الآخر كان أحد المستأجرين الذين عانوا ويعانون من ظلم وطغيان أبى الذهب .

* *

ظلَّ أبو الذهب واقفاً ، لا ينطق بكلمة واحدة ، طال صمته فضاق صدر مرتزق وقطع الصمت بالقول : ما بالك لا تتكلم يا سيدى ، لماذا أنت خائف ، أنا الذى أصابنى الخوف ، لقد ظننت أن الأحمر على ثيابك دم . أجاب أبو الذهب : أنا خائف يا مرتزق ، ثم تنهَّد ومدَّ يده إلى منديله ، مسح العرق عن وجهه ونظر بيأس إلى مرتزق وأضاف :

اسمع يا مرتزق الأبناء سرّ الأباء ، وقد قال المثل : «خذوا أسرار الكبار من الصغار » « خذوا أسرارهم من صغارهم » ، أسرار الكبار فى الخضراء قالها صغارهم، احتجاج الصغار كان ضربى بالطماطم ولو جاء الاحتجاج من الكبار، فسيكون بحجمهم ربما كان

رجمى بالحجارة أو بإطلاق الـرصاص عليَّ. . . وتابع حديثه بعدما صدرت عنه آهة: أنا خائف يا مرتزق. . . ساعدنى يا مرتزق. . .

أطرق مرتزق لحظة وقال لسيده: لا داعى للخـوف من صبيـة لا يعـون تصـرفـاتهم . . . غـداً نتصـل بمـديـر المدرسة . فيأخذ التـدابير بحق هؤلاء الصبية المشاغبين. . .

طـرق البـاب ، دخـل جـابى « أبى الـذهب». المكلف بـجمـع إيـجـار المنازل ، نظر أبو الذهب إلى المال ، ضحك ملء فيـه وقال لمـرتزق افعـل كالعادة ، من أراد استبدال الأرض بالبيت فنحن حـاضـرون . . . ثم ألتفت إلى الجابى وسأله : هل تمنع أحد عن دفع

بدل إيجار الشهر؟ أجاب الجابى هو نفسه : مضى ستة أشهر من دون أن يدفع إيجار البيت . . . غداً يصله الإنذار بإخلاء البيت . قال أبو الذهب هذه الكلمات ونظر إلى مرتزق وسأله : ألا يملك هذا المستأجر أرضاً نشتريها منه ليدفع لنا بدل الإيجار؟

* نعم يملك يا سيدى . لكنه رفض بيعها ، وأصر على ذلك . فقد قال لنا : الأرض لا تباع .

* * *

تكررت حوادث إخلاء المنازل من ساكنيها ، أصبحت الخضراء ترفل فى حزن عميق فتيات الخضراء أهملن ما زرعن من ورود وزهور، فبدت الشرفات صفراء حزينة ميتة وزاد من ذلك أن أبا

الذهب بالغ بتقنين المياه . وعندما سئل عن سبب ذلك

أجاب : المياه فى البيـوت حددت بعقـود الإيجار لتكـون للبشـر ، تكفى حاجاتهم من مياه الشرب ولـلاستحمام والغسيـل مرَّة واحـدة فى الأسبـوع . . وصبايا الخضراء وفتيانها يهدرون المياه ليسقوا الورود والأزهار ، ومن أراد أن يروى الورود فعليه أن يتحمل العطش وأضاف أبو الذهب : حفرت آباراً لإرواء البشر ولا يهمنى الشجر والورود ، أنا أكره الأخضر ، قلت ذلك سابقاً وأقوله الآن .

فتيات الخضراء أقلَعْنَ عن التنزه فى شارع الخضراء الرئيسى واعتصمن فى البيوت . مرة سأل أحد الشباب جارته الصبية : لماذا أهملتى الورود المزروعة

على شرفتك ؟ أجابت الفتاة الحسناء : تأبى الورود أن تتفتح فى ظل العبودية وعلى أى حال فإن أبا الذهب سيمنع زراعة الأزهار .

اختفت ، الأعراسُ من الخضراء . . . غادة الخضراء رفضت الزواج من أمير أحلامها وأسرَّت لإحدى صديقاتها : لن أسكنَ فى بيت يكون لأبى الذهب الحق بطردى منه متى يشاء . . . لن أكون حرَّة إن لم أتحـرر من الارتهـان إلى أبى الذهب . أنا مستعدة لأبقى عذراء مدى الدهر إن لم أسكن بيتاً يكون مـلكاً لى وأضـافت غادة الخضـراء ساخـرة : لا تستغربى يا أختاه إن خطر لأبى الذهب يوماً تحديد نسل المستأجرين . فالتقنين بدأ بـالمياه والكهرباء ، ولا نعرف أين ينتهى . . . !

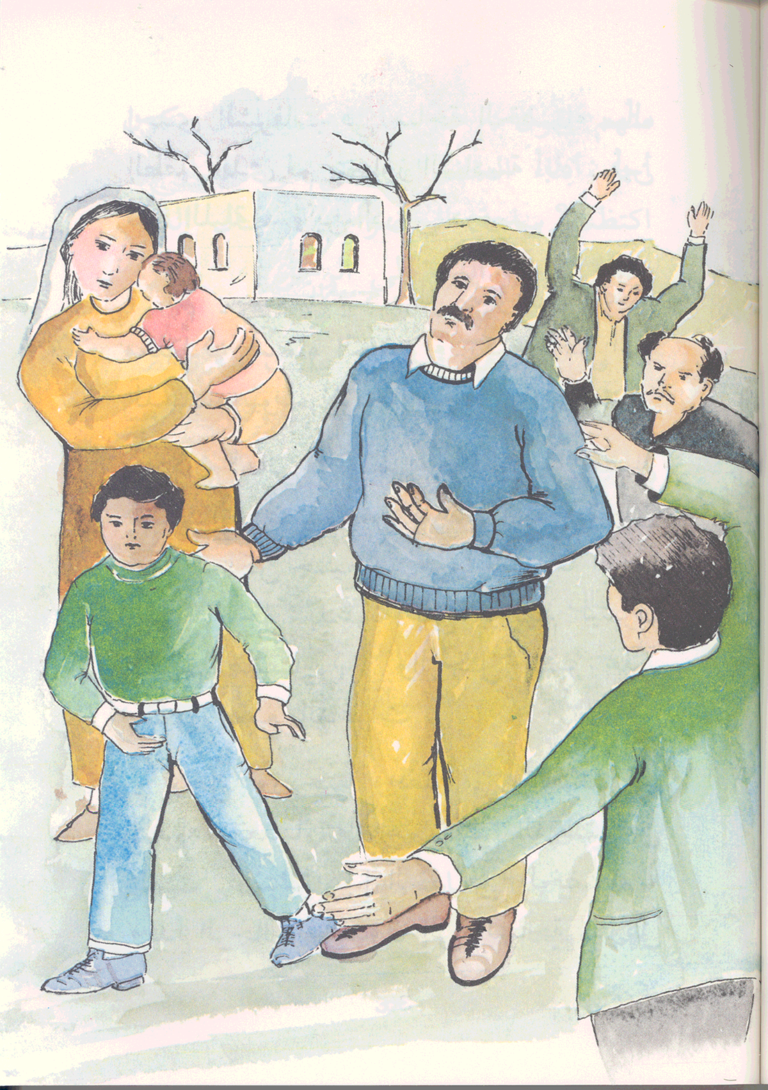
لن تكون الخضراء عاقراً
أرض الخصب والولادة
لن يبقى الأخضر سجيناً
إنها الحياة تخرج من بذرة خضراء

* * *

كان المطر غزيراً والبردُ قارساً فى صباح ذلك اليوم من شهر فبراير ، عندما انتهت مدة الإنذار الذى وجهه أبو الذهب لأحد المستأجرين بإخلاء البيت بسبب عدم دفعه قيمة الإيجارات لعدة أشهر . . .

فى هذا الصباح البارد أخرج الرجل وزوجته وطفليه من البيت ، حاول المقاومة، لكن أزلام أبى الذهب وزبانيته أرغماه على الخروج، ثم أقفلوا الباب بعدما تم حجز محتويات البيت.

جلس الرجل وزوجته وطفلاه تحت



إحدى الشرفات فى ساحة الخضراء سأل الطفل الذى لم يتجاوز السادسة أباه : أين ننام الليلة ، وأين أدرس دروسى ؟ .

لم يجب الأب وظلَّ سؤال الطفل معلقاً فى سماء الخضراء. كما لافتة أبى الذهب «بيوت للإيجار».

كان أهالى الخضراء يراقبون ما حصل باشمئزازٍ وغضب من دون أن يقوموا بأى عمل ، لكن جميع من مرّوا بالساحة ألحّوا على الرجل بدعوته إلى بيوتهم لينزل عليهم ضيفاً . . . والرجل مصر على رفض جميع الدعوات .

رجلٌ وزوجته وطفليه ، يقيمون فى العراء بعدما طردهم أبو الذهب من البيت . انتشر هذا الخبر فى الخضراء ، وبدأ الرجال يتوافدون إلى الساحة ، وكل

منهم يقول : عارٌ علينا جميعاً أن يكون أحد أبناء الخضراء ملقىً فى الشارع .
اكتظت ساحة الخضراء بالرجـال الذين بدأوا بتوجيه اللوم إلى الرجل :

قال أحدهـم : عيب عليك أن ترفض ضيافتنا ، فالضيافة من عاداتنا وتقاليدنا هيَّا قم فجميع البيوت بيوتك . . . لم يجب الرجل وظلَّ صامتاً .

قال رجل آخر بلهجة عتاب : لو رآك غريب فسيقول إن أهالى الخضراء فقدوا الشهامة وكرم الضيافة . . . ظلَّ الرجل صامتاً .

وقال رجل ثالث بانفعال : إن سلوكك يسىء إلى الجماعة، إلى القيم التى نؤمن بها جميعاً .

وقال رجل رابع : سنحملك عنوة على قبول ضيافة أحدنا .

تدخل رجل خامس وقال : إنه ابن عشيرتى وأنا الأحق باستضافته . . . ثم تقدمت إحدى النسوة وأخذت زوجة الرجل من يدها تريد اصطحابها إلى بيتها . . . وعلت الأصوات استنكاراً لسلوك الرجل وساد ساحة الخضراء هرج ومرج .

وسط هذا الصخب وقف الرجلُ وصاح بأعلى صوته :

إخوانى أهالى الخضراء ، رجالها ونساءها ، لقد سمعت وجهات نظركم جميعاً ، وسأكون قيد أوامركم جميعاً إن قبلتم سماع وجهة نظرى . سمعت أحدكم يقول : إنه من العيب علىَّ أن أرفض

ضيـافتكم لأن الضيـافــة من عـاداتنـــا وتقاليدنا . . . صحيح ما قاله الرجل ، لكن الضيف ينزل ضيفاً على صاحب البيت ، وأعتقـد أن من كان يـدعونى لضيافته هو نفسه ضيف عند أبى الذهب ، وربما جاء يوم طرده فيه أبو الذهب من البيت هو وضيفه . . وقد سمعت آخراً منكم يقول : أنه لو رآنى غريب فسيقول أن أهالى الخضراء فقدوا الشهامة : أنا لست غريباً وأقول لكم ، إنكم إن سكتم وطال سكوتكم عمَّا أنتم فيه فستفقدون الشهامة فعلاً ، لستم أحراراً فى بيوتكم ، والشهامة لا تكون لغير الأحرار .

وسمعت منكم من يقول : أن بقائى فى العراء يسىء إلى الجماعة ، ألا يسىء سلوك أبى الذهب إلى الجماعة ، رجل واحد يتحكم بحاجة وحرية الآخرين . أما

من قال بأنه سيحملنى عنوة إلى بيته ، فإن كان شهماً وشجاعاً إلى هذا الحد فليعدنى عنوة عن أبى الذهب إلى بيتى الـذى طردنى منه . . . أين كانت الشهامـات والكرامات عندما طرد الكثيرون عنوة من بيوتهم . . . لماذا لم يتصدَ أحدُ منكـم إلى زبانية أبى الذهب عندما أرغمونى على الخروج من بيتى؟!!.

ران صمت على الحضور وتابع الرجل حديثه وقد زاد صوته ارتفاعاً : أبو الذهب منع عنكم الشمس والنور ، منع الماء والهواء ، رفع الإيجارات ، وها هو ينكّل بنا الواحد تلو الآخر ، ولن أكون آخر المطرودين من بيوتهم ، كلٌ منكم مطرود من بيته ، والتنفيذ فى وقت لاحق . . . خرجتم من فم الغول فى المصانع ودخلتم إلى بطنه من خلال إيجارات البيوت . . .

ستعود إلى بيتك عنوة ، سيعود جميع

المطرودين إلى بيوتهم أجل . . . أجل البيت لساكنه ، صيحة دوّت فى سماء الخضراء .

* * *

كان عددٌ من السيّارات يتقدم نحو ساحة الخضراء ، سيّارة أبى الذهب تتبعها ثلاث سيارات لأعوانه تقدمت السيارات مسرعة واخترقت الحشد الموجود فى الساحة صدمت إحدى السيارات مواطناً فأصيب بجروح وسال الدم على وجهه وثيابه . . . حاصر الأهالى أبو الذهب وزبانيته ، وعندما رأى أبو الذهب أن معركته ستكون خاسرة قال لأهالى الخضراء ، دعونا نصل لاتفاق إنما عن طريق القانون . . . فأنتم تعبثون بالقانون ، وتغتصبون أملاك الغير ، أنا تعبت بمالى وبنيت هذه المنازل ، وأنا



مستعد لأن أبيعها لكم بالتقسيط أجابـه أحدهم ! نحن نعبث بقانـونك ، وأنت تعبث بحيـاة البشر ، الـرجال والنسـاء والأطفـال ، القوانين الـطبيعيـة وضعت لخدمة البشر وقانونك وضع لاستعبادهم .

صرخ أبو الذهب بأعلى صوته : لقد قلتم سـابقاً فى المصـانـع شـركـاء لا أجراء . . . وماذا تريدون اليـوم ، ماذا قدمتم لبناء البيوت؟! وقف أحدهم وكان من المستأجرين القدامى وقال : اسمع يا أبا الذهب لقد أخـذت منى أموالاً تكفى لبناء ، عشرة بيوت ، لقد نلت حقك . . . أضعاف . . أضعاف .

ضاق أبو الذهب ذرعاً وصرخ بصوت هستيرى مجنون :

وماذا تريدون منى . . . قولوا .

صرخ الجميع بصوت واحد ، البيت لساكنه .

* * *

مدَّ أبو الذهب يده إلى جيبه ، أخرج مسدسه وقبل أن يطلق طلقة واحدة ، كان مرمياً على الأرض والدماء تسيل من رأسه وأنفه . . . فى المكان نفسه الذى نصب فيه الأطفال كميناً لأبى الذهب ، والبذلة البيضاء نفسها التى كان يلبسها آنذاك وفى الساعة نفسها ظهرت بقع من اللون الأحمر على ثياب أبى الذهب ، لم تكن سائل الطماطم ، كانت بقع من الدم الأحمر .

* * *

فى بيت أبى الذهب ، وعلى المقعد نفسه الذى جلس عليه مع مدير أعماله مرتزق بعد خروجه من المصنع ، قال أبو

الذهب لمرتزق ، لن يفلت منى أبناء الخضراء ، استرجعوا المصانع والبيوت ، لكنهم خسروا الأرض ، ولن أسمح لهم بزراعة الأرض إلاَّ بشروط . . قاطعه مرتزق قائلاً: الآن عرفت لماذا كنت تشترى الأرض يا أبا الذهب.

فى الأيام التالية رفعت لافتة فى ساحة الخضراء كتب عليها ، البيت لساكنه ، لا يوجد بيوت للإيجار . . .

وفى اليوم الثالث تفتحت الورود على الشرفات وقامت الصبايا بنزهة المساء فى شارع الخضراء الرئيسى يحملن باقات الورد . وكان الصوت نفسه :

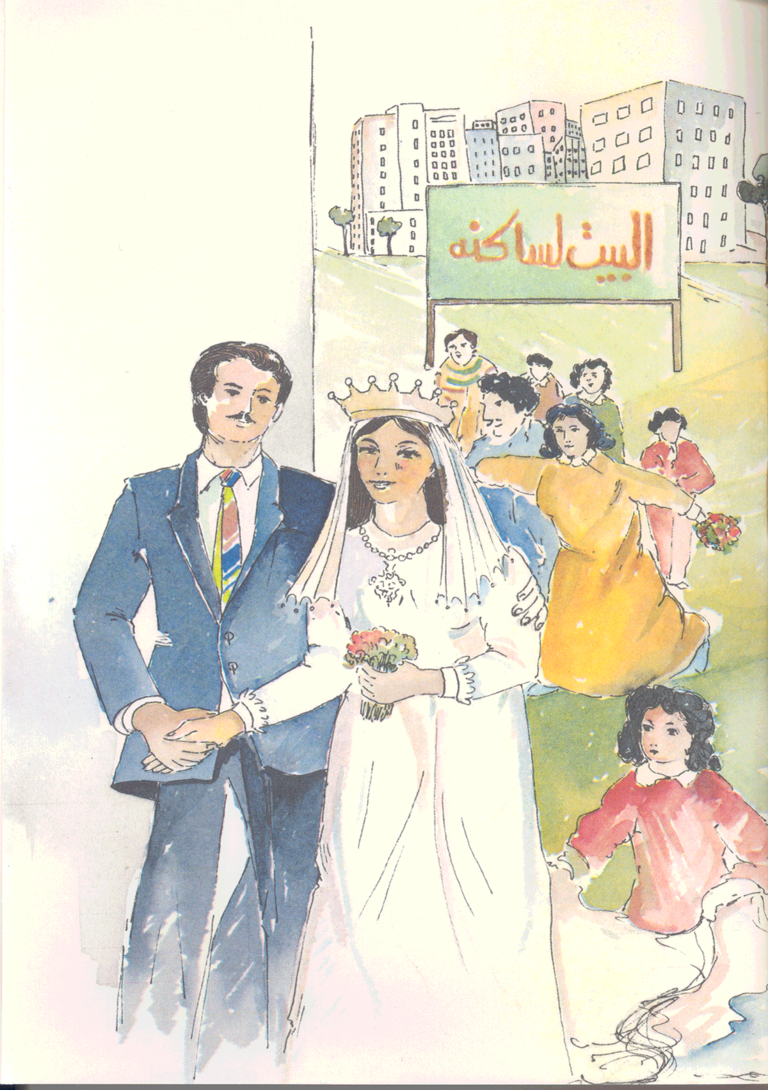
يـــا قمـر أضنـــانى بعـــده
ردى لـــلولـــهـــان رشـــده

عجباً . . عجباً . . ماذا أرى
أظبيـة حسن تحمـل ورده

وفى اليوم الرابـع كان عـرس غادة الخضراء على أمير أحلامها . . .

قال الابن لأبيه : بعدما أصبح البيت لساكنه صـار بإمكـانى وأخى الأصغر أن نغنى :

سقف بيتى حديد ركن بيتى حجـر
فاعصفى يا ريـاح وانتحب يـا مـطر
واسبحى يـا غيوم واهـطلى بـالمـطر
واقصفى يـا رعود لست أخشىٰ خطر


البيت لساكنه



500 درهم ليبي او ما يعادله



المركز العالمي لدراسات وأبحاث الكتاب الأخضر
هاتف: 40705 - 45565 - 45594
مبرق: 20032 - 20668 GREEN BOOK
ص.ب: 4491 - طرابلس - الجماهيرية